تفسير سورةُ الأنْبياءِ
من آية (87) إلى آية (91)
اللقاء التاسع

المعنى الإجمالي من آية (81) إلى آية (86):

قولُ الله تعالى: وسخَّرْنا لسُلَيمانَ الرِّيحَ شَديدةَ الهُبوبِ، تجري بأمْرِه إلى الأرضِ التي بارَكْنا فيها، وقد أحاط عِلمُنا بجَميعِ الأشياءِ، وسَخَّرنا لسُلَيمانَ مِن الشَّياطينِ شَياطينَ يغوصونَ في البَحرِ يَستَخرِجونَ له اللآلئَ والجواهِرَ، وكانوا يَعمَلونَ أعمالًا أخرى غيرَ الغَوصِ مما يريدُه منهم، وكُنَّا لهم حافظينَ، فلا يَقدِرونَ على الامتِناعِ مِمَّا يُريدُه منهم، ولا يتمَرَّدونَ على طاعتِه، ولا يتعَرَّضونَ له بسُوءٍ ولا لأحدٍ مِنَ النَّاسِ.

يقولُ الله تعالى: واذكُرْ -يا محمَّدُ- عَبْدَنا أيوبَ إذ نادى ربَّه عزَّ وجَلَّ أنِّي قد أصابني الضُّرُّ، وأنت أرحَمُ الرَّاحمينَ، فاكشِفْه عنِّي. فاستجَبْنا له دُعاءَه، ورفَعْنا عنه الضُّرَّ والبلاءَ، ورَدَدْنا عليه ما فَقَده من أهلٍ ووَلدٍ مُضاعفًا؛ فَعَلْنا به ذلك رحمةً منَّا، وتذكيرًا للذين يَعبُدونَ اللهَ؛ لِيَكونَ قُدوةً لكُلِّ صابرٍ على البلاءِ، راجٍ رحمةَ رَبِّه. المحرر لتفسير القرآن

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾﴿87﴾

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) أي: واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- يُونُسَ صاحِبَ الحُوتِ حينَ ذَهَب غاضِبًا على قَومِه مِن أجْلِ رَبِّه؛ لِكُفرِهم به، وعِصيانِهم له، بعدَما دعاهم إليه. موسوعة التفسير

قال الرازي: (لا خِلافَ في أنَّ ذا النُّونِ هو يونُسُ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ النونَ هو السَّمَكةُ).

(فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي: فظَنَّ يُونُسُ أنَّنا لن نُعاقِبَه هذه العُقوبةَ، فنُضَيِّقَ عليه بحَبسِه في بَطنِ الحُوتِ. موسوعة التفسير

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) أي: فنادَى يونُسُ رَبَّه وهو في الظُّلُماتِ فقال: لا إلهَ إلَّا أنتَ، أُنَزِّهُك عن جَميعِ النَّقائِصِ والعُيوبِ، إنِّي كُنتُ ظالِمًا لِنَفسي بمَعصِيتِك حينَ خَرَجْتُ مِن قَومي. موسوعة التفسير

المراد بالظُّلُمات: ظلمةُ الحوتِ والبَحرِ واللَّيلِ. قال القرطبي: (إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ يريدُ فيما خالفَ فيه مِن تَرْكِ مُداومةِ قومِه والصَّبرِ عليهم. وقيل: في الخروجِ مِن غيرِ أن يُؤذَنَ له).

قال ابن القيم: دَعوةُ ذي النُّونِ فيها مِن كَمالِ التَّوحيدِ والتَّنزيهِ للرَّبِّ تعالى، واعترافِ العَبدِ بظُلمِه وذَنبِه، ما هو مِن أبلَغِ أدويةِ الكَربِ والهَمِّ والغَمِّ، وأبلَغِ الوسائِلِ إلى اللهِ سُبحانَه في قَضاءِ الحوائِجِ؛ فإنَّ التَّوحيدَ والتَّنزيهَ يتضَمَّنانِ إثباتَ كُلِّ كَمالٍ لله، وسَلْبَ كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ وتَمثيلٍ عنه- والاعترافَ بالظُّلمِ يتضَمَّنُ إيمانَ العَبدِ بالشَّرعِ والثَّوابِ والعِقابِ، ويُوجِبُ انكِسارَه ورُجوعَه إلى اللهِ، واستقالتَه عَثرَتَه، والاعترافَ بعُبوديَّتِه، وافتقارَه إلى رَبِّه، فهاهنا أربعةُ أمورٍ قد وقع التوسُّلُ بها: التَّوحيدُ، والتَّنزيهُ، والعُبوديَّةُ، والاعترافُ.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾﴿88﴾

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) أي: فأجَبْنا دُعاءَ يُونُسَ، ونَجَّيْناه مِن الغَمِّ والشِّدَّةِ التي وقَعَ فيها، فأخرَجْناه مِن بَطنِ الحُوتِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ [الصافات: 145، 146].

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) أي: وكما نجَّيْنا يونُسَ مِن غَمِّه حين دَعانا، كذلك نُنْجِي المؤمِنينَ مِن غُمومِهم وكُرَبِهم إذا دَعَونا بإخلاصٍ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ [يونس: 103].

وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((دَعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بَطنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فإنَّه لم يَدْعُ بها رجُلٌ مُسلِمٌ في شَيءٍ قَطُّ إلَّا استجابَ اللهُ له))السلسلة الصحيحة

قال القَصَّاب: دليلٌ على أنَّ التَّهليلَ والتَّسبيحَ يَجْليانِ الغُمومَ، ويُنجِيانِ مِن الكَرْبِ والمصائِبِ، فحقيقٌ على مَن آمَنَ بكتابِ اللهِ أنْ يجعَلَها ملجأً في شَدائِدِه، ومَطيَّةً في رَخائِه؛ ثِقةً بما وَعدَ اللهُ المؤمنينَ مِن إلحاقِهم بذي النُّونِ في ذلك؛ حيث يقولُ: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ. (النكت الدالة على البيان).

قال ابن عثيمين: ترغيبٌ للمُؤمِنينَ في الإيمانِ؛ بالثَّباتِ عليه، والازديادِ منه؛ إذْ عَلِموا نجاةَ المؤمِنينَ السَّابِقينَ.

قال السعدي: وهو وَعدٌ وبِشارةٌ لكُلِّ مُؤمِنٍ وقَعَ في شِدَّةٍ وغَمٍّ أنَّ اللهَ تعالى سيُنجيه منها، ويَكشِفُ عنه ويخَفِّفُ؛ لإيمانِه، كما فعَل بيُونسَ عليه السَّلامُ.

قصّة يونس عليه السلام | مختصر ابن كثير "نبي الله يونس بن متى عليه السلام والملقب بذي النون، أرسله الله إلى أهل ''نينوى'' من أرض ''الموصل''، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج غاضباً من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، وَرَغَتِ الإبل وفُصلانها، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَثَغَتِ الْغَنَمُ وحُمْلانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: 98].

فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم سببه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم.

أما يونس فقد خرج من القرية من دون أن يأذن له ربه، فلما خرج ركب مركباً في البحر، فلجَّت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم، على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضاً، فشمّر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضاً لما يريده الله به من الأمر العظيم.

ولما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر، وبعث الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر الأخضر فالتقمه، وأمره الله تعالى ألا يأكل له لحما، ولا يهشم له عظماً، فليس لك برزق، فأخذه فطاف به البحار كلها، وظن يونس أنه قد مات، فقد كان داخل ظلمات الحوت وظلمات البحر وظلمات الليل، فحرّك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي، فخر لله ساجداً، وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحداً في مثله، وشعر يونس بأنه أذنب وعوقب بذنبه، فكان مغموماً بما وقع فيه، وراح يردد: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ظل يونس يستغفر ويسبح الله ويتوب من ذنبه، فاستجاب الله دعاءه، وأمر الله الحوت أن يقذف بيونس إلى البر، ولولا أن يونس كان من عباد الله المسبحين لظل في بطن الحوت إلى يوم القيامة. كانت الأرض التي خرج إليها يونس أرض عراء وهي مكان قفر ليس فيها أشجار، وكانت حالة يونس سيئة، فقد كان ضعيف البدن سقيم، فأنبت الله له في هذه الأرض شجرة من يقطين (القرع) التي لها أوراق ناعمة وكثيرة ولا يقربها الذباب، والتي يؤكل ثمرها نياً ومطبوخاً، وبقشرها وببزرها، وفيها منافع صحية كبيرة للجسم والعقل. وهكذ نجى الله يونس لأنه من عباد الله المسبحين، ومنع الهلاك على قوم يونس لأنهم تابوا وآمنوا كلهم عن بكرة أبيهم، فكانت القرية الوحيدة التي يضرب المثل أنها آمنت كلها واستجابت لنبي من أنبياء الله –قبل محمد– فمنع الله عنها العذاب ومتعها إلى حين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: 139 - 148].

وإن من أعظم الدروس التي نستفيدها من قصص الأنبياء عامة، وقصة يونس -عليه السلام- خاصة، أن يقف المسلم عند حدود الله ويمتثل أمر الله ويجتنب نهيه، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويطمئن ويصبر لحكمه، ويحتمل الأذى في سبيله، ويرجو ثوابه وجنته، وأن يتعرف إلى الله تعالى في الرخاء ويتقيه ويرعى حقوقه، ليعرفه الله سبحانه عند الشدائد، وينجيه عند النكبات والأزمات، قال -صلى الله عليه وسلم-: " مَن سرَّه أن يستَجيبَ اللهُ له عند الشَّدائدِ والكَربِ فليُكثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ ". سنن الترمذي

وما أحوج كل مسلم مغموم مهموم، أظلمت به الدروب، وأحاطت به الكروب، أن يعلم أنه لن يخلّصه مما هو فيه إلا توحيد الله -عز وجل- والدعاء، وأنه لن ينجو إلا بالتوبة والإنابة الصادقة والاستغفار والعزيمة على عدم العودة إلى معصية الله، وأن يتجه إلى الله راغبًا صادقًا داعيًا إياه دعاء المكروب المعترف بخطئه وتقصيره، ويثق بنصر الله وتأييده، قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [النمل:62].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾﴿89﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان حاصِلُ أمرِ يونُسَ عليه السَّلامُ أنَّه خَرَج مِن بَطنٍ لم يُعهَدِ الخُروجُ مِن مِثلِه، عَطَف عليه قِصَّةَ زكريَّا عليه السَّلامُ في هِبَتِه له ولَدًا مِن بَطنٍ لم يُعهَدِ الحَملُ مِن مِثلِه، في العُقمِ واليَأسِ.

(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- زكريَّا حينَ نادَى رَبَّه، فقال: رَبِّ، لا تترُكْني وَحيدًا بلا وَلَدٍ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)[مريم: 2 - 6].

(وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) أي: فارزُقْني وارِثًا مِن نَسلي يَقومُ بالدِّينِ مِن بَعدي، وأنت خيرُ الباقينَ بعدَ مَوتِ العبادِ، وخَيرُ مَن يخلُفُني بخَيرٍ، وأنا أعلمُ أنَّك لن تُضَيِّعَ دينَك، ولكِنْ لا تَقطَعْ فَضيلةَ القيامِ بأمرِ الدِّينِ وهِبةِ العِلمِ والحِكمةِ عَن عَقِبي. موسوعة التفسير

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾﴿90﴾

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى) أي: فاستَجَبْنا لزكريَّا دُعاءَه، ورَزَقْناه ولَدًا اسمُه يحيى. موسوعة التفسير

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) أي: وأصلَحْنا لزكريَّا امرأتَه العقيمَ، فجعَلْناها وَلودًا صالِحةً للحَملِ. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (إنَّ اللهَ أصلَحَ لزكريَّا زَوجَه، كما أخبَرَ تعالى ذِكرُه، بأن جعَلَها وَلُودًا حَسَنةَ الخُلُقِ).

(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أي: إنَّ زكريَّا وزَوجَه ويحيَى كانوا يُبادِرونَ إلى فِعلِ الطَّاعاتِ، وما يُقرِّبُهم إلينا. موسوعة التفسير

(وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) أي: وكانوا يَدْعُوننا؛ رَغبةً منهم في ثوابِ اللهِ ورَحمتِه، ورَهبةً مِن عذابِه وغَضَبِه. موسوعة التفسير

قال ابنُ عُثيمين:(في هذه الآيةِ الكريمة وصَفَ اللهُ تعالى الخُلَّصَ من عبادِه بأنَّهم يَدْعُونَ الله تعالى رغَبًا ورَهَبًا مع الخُشوعِ له، والدُّعاءُ هنا شامِلٌ لدُعاء العبادةِ ودُعاءِ المسألة).

❶ دعاء العبادة، والمراد به أن يكون الإنسان عابداً لله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادات، القلبية أو البدنية أو المالية، كالخوف من الله ومحبة رجائه والتوكل عليه، والصلاة والصيام والحج، وقراءة القرآن والتسبيح والذكر، والزكاة والصدقة والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... إلخ

❷ دعاء المسألة، وهو طلب ما ينفع، أو طلب دفع ما يضر، بأن يسأل الله تعالى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة. كالدعاء بالمغفرة والرحمة، والهداية والتوفيق، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وأن يؤتيه الله حسنة في الدنيا، وحسنة في الآخرة ... إلخ. "القول المفيد" (264/1)

وقال ابنُ عُثيمين: فهُم يَدْعونَ الله رغبةً فيما عندَه، وطَمَعًا في ثوابِه، معَ خوفِهم مِن عقابِه وآثارِ ذُنوبِهم، والمؤمِنُ ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخَوفِ والرَّجاءِ، ويُغَلِّب الرَّجاءَ في جانِبِ الطَّاعةِ لِيَنشطَ عليها ويؤَمِّلَ قَبولَها، ويُغَلِّب الخَوفَ إذا هَمَّ بالمعصيةِ لِيَهرَبَ منها، وينجوَ مِن عِقابِها.

قال ابن رجب: مِن أنواعِ العِباداتِ التي يَظهَرُ فيها الذُّلُّ والخُشوعُ لله عزَّ وجَلَّ: الدُّعاءُ؛ قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ، فمِمَّا يَظهَرُ فيه الذُّلُّ مِنَ الدُّعاءِ: رَفْعُ اليَدينِ، وافتقارُ القَلبِ في الدُّعاءِ، وانكِسارُه لله عزَّ وجَلَّ، واستِشعارُه شِدَّةَ الفاقةِ إليه والحاجةِ، وإظهارُ الذُّلِّ باللِّسانِ في نَفسِ السُّؤالِ، والدُّعاءُ والإلحاحُ فيه.((مجموع رسائل ابن رجب))

(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) أي: وكانوا لنا مُتواضِعينَ خاضِعينَ، مُتذَلِّلينَ لا يَستكبِرونَ عن عبادتِنا ودُعائِنا، قد انكَسَرت قلوبُهم لله، وسكَنَت عن الالتِفاتِ إلى غَيرِه. موسوعة التفسير

قال ابنُ القيِّم: (الخشوعُ في أصلِ اللُّغةِ: الانخِفاضُ، والذُّلُّ، والسُّكونُ... وأجمع العارِفونَ على أنَّ الخُشوعَ محلُّه القلبُ، وثَمَرتُه على الجوارِحِ، وهي تُظهِرُه).

تُخبرك سورةُ الأنبياء بقصص الذين أحسنوا في عبادة الدعاء، وقد تكرر في تلك السورة قوله سبحانه: «فاستجبنا له..» أربع مرات: «فاستجبنا له فنجيناه»« فاستجبنا له فكشفنا ما به»« فاستجبنا له ونجيناه »« فاستجبنا له ووهبنا له »وتعلمنا أن من أسباب استجابة الدعاء التضرع والابتهال

وإظهار الضعف والافتقار بين يدي الله تعالى. وتعلمنا أن الله تعالى إذا أعطى أذهل بعطائه؛ لأنه سُبحانه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه وأزال عواقبه وأتمه.

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام | مختصر ابن كثير" نبي الله زكريا عليه السلام، هو من نسل سليمان عليه السلام، وعاش مع زوجته يسارعون في الخيرات، ويدعون الله رغباً ورهباً، وكانوا خاشعين، وهبه الله ولداً على الكبر رغم أن امرأته كانت عجوزاً عاقراً، فاستجاب الله لدعائه ورزقه يحي الذي آتاه الله النبوة منذ صباه، فكانت النبوة في زكريا ويحيى. كان زكريا نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها، وكان من خدام بيت المقدس، وكان قد كفل مريم بنت عمران، فكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إبانها ولا في أوانها وهذه من كرامات الأولياء، فسألها: يا مريم، أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[آل عمران: 37]

فعلم أن الرزاق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وإن كان قد طعن في سنه. قام زكريا من الليل يصلي في محرابه، فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضراً عنده فقال: يا رب يا رب يا رب. فقال الله: لبيك لبيك لبيك. فقال:(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)، يارب إني أخاف انحراف الموالي من بعد موتي، وأنا ليس لي وريث يحمل شرعك ونبوة آل يعقوب ويأخذ بأيدي الناس، اللهم فاجعل لي ولياً تقياً مرضياً يرثني ويرث من آل يعقوب، (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ). (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ) بغلام اسمه يحي، وهو اسم لم يطلق على أحد من قبل، وأن هذا الغلام (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ). فرح زكريا بالبشرى وتساءل متعجباً: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) لا تلد، (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)! قالت الملائكة: كذلك قال ربك، يفعل ما يشاء سبحانه، وهذا الأمر هين على الله، فقد خلقك من قبل ولم تك شيئاً. وهكذا استجاب الله لنداء زكريا وبشره بيحى وأصلح له زوجته للحمل والولادة، فقال زكريا: رب اجعل لي علامة أعرف منها أن امرأتي قد حملت مني الولد. (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ). وحين حان الوقت اعترى زكريا السكوت فلم يستطع النطق بحديث مع الناس رغم أنه كان صحيحاً سوياً ليس به مرض، لكن لديه القدرة على الذكر والتسبيح، فراح يذكر الله كثيراً ويسبح في الصباح والمساء كما أمره الله، ولما خرج على قومه من المحراب استخدم أسلوب الإشارة والرموز بدل الكلام وراح يأمرهم بذكر الله صباحاً ومساءً بدون كلام لمده ثلاثة أيام. ولد يحي ابن زكريا، ولما بلغ الصبي، أعطاه الله النبوة وهو صبي، وأمره الله أن يأخذ كتاب الله بقوة،

وكانت النبوة المبكرة ليحيى رحمة من الله ومحبة وتطهيراً له من النقائص، فقد كان يحي تقياً وباراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً، ومن كرامات الله له أن جعل يوم ميلاده ويوم وفاته ويوم بعثه سلاماً عليه. قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. فقال: ما للعب خلقنا. فقد زكريا ابنه يحي ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبراً وأقام فيه يبكي على نفسه، فقال يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه؟ فقال: يا أبت ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين. فقال له: ابك يا بني. فبكيا جميعاً. إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها ، وإنَّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال عيسى: إنَّ اللَّهَ أمَرَك بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتَعمَلَ بها وتَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بها، فإمَّا أن تَأمُرَهم، وإمَّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمَع النَّاسَ في بيتِ المقدِسِ، فامتَلأَ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرُفِ، فقال: "إنَّ اللَّهَ أمَرَني بخَمسِ كلماتٍ أن أَعمَلَ بِهِنَّ، وآمرُكم أن تَعمَلوا بهنَّ: أوَّلُهنَّ أن تَعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وإنَّ مَثلَ مَن أشرَكَ باللَّهِ كمثَلِ رجلٍ اشترى عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهَبٍ أو ورِقٍ، فقال: هذه داري وهذا عمَلي، فاعمَلْ وأدِّ إليَّ، فكان يعمَلُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيُّكم يَرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؟! وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللَّهَ يَنصُبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ، وآمرُكم بالصِّيامِ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ في عِصابةٍ معَه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلُّهم يَعجَبُ أو يُعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللَّهِ مِن ريحِ المسكِ، وآمرُكم بالصَّدقةِ؛ فإنَّ مثَلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسَره العدوُّ، فأوثَقوا يدَه إلى عنُقِه، وقدَّموه ليَضرِبوا عُنقَه، فقال: أنا أَفْديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم، وآمرُكم أن تَذكُروا اللَّهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَج العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَز نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكْرِ اللَّهِ". وكان ملك دمشق قد أراد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا تحل له، فعلم يحي ونهاه عن ذلك، لكن الملك لم يسمع له وتزوج، فطلبت منه زوجته رأس يحي، فبعث الملك من قتل يحي وجاء برأسه في طست وقدم رأسه لزوجة الملك، فهلكت المرأة من فورها. وقيلت روايات أخرى عن قتل يحي عليه السلام.

كيف مات سيدنا زكريا عليه السلام ورد عن كعب في مقتل زكريا –عليه السّلام– أنّه لما رأى مقتل ابنه يحي –عليه السّلام–، وخُسف بقومه، انطلق هارباً من قومه حتى دخل إلى بستانٍ في بيت المقدس، فمر بشجرةٍ من أشجار البستان فنادته، وقالت له: يا نبي الله إلى ها هُنا، فالتفت حوله ودخل في وسطها، وجاء إبليس نحوه وأخذ بطرف ردائه وأخرجه من الشجرة، وذهب إلى قومه فأخبرهم بمكان وجود زكريا –عليه السّلام–، وأراهم طرف ردائه لكي يُصدقوه، فأخذوا فؤوسهم وقطعوا الشجرة إلى قسمين، فقتلوه مع الشجرة. (نهاية الأرب في فنون الأدب)، وورد أنه قُتل على يد قومه، وكان ذلك في فترة طُغيانهم وعُلوهم وفسادهم. الدر المنثور

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾﴿91﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: أنَّه لَمَّا ذكَرَ أنَّه خَرَق العادةَ في إبداعِ يحيى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بينَ والِدَينِ لا يُولَدُ لِمِثلِهما، تلاه بإبداعِ ابنِ خالتِه عيسى عليه السَّلامُ الذي هو عَلَمٌ للسَّاعةِ، على حالٍ أغرَبَ مِن حالِه، فأخرَجَه مِن أُنثى بلا ذَكَرٍ، فقال تعالى:

(وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) أي: واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- مَريمَ التي حَفِظَت فَرْجَها من الحَرامِ، فأمَرْنا جبريلَ أن يَنفُخَ الرُّوحَ في جَيبِ درعِها " دِرْعُ المرأةِ: قميصُها. وجَيْبُ القَميصِ: طَوقُه الذي يَنفَتحُ على العُنُقِ"، فبَلَغَت النَّفخةُ فَرْجَها، فحَمَلت بعِيسى. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (أي: واذكُرْ مَريمَ -عليها السَّلامُ- مُثنيًا عليها، مُبَيِّنًا لِقَدْرِها، شاهِرًا لشَرَفِها، فقال: وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا أي: حَفِظَتْه من الحرامِ وقِربانِه، بل ومِنَ الحَلالِ؛ فلم تتزوَّجْ لاشتغالِها بالعبادةِ، واستغراقِ وَقتِها بالخِدمةِ لرَبِّها. وحينَ جاءها جِبريلُ في صورةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ تامِّ الخَلقِ والحُسنِ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، فجازاها اللهُ من جِنسِ عَمَلِها، ورَزَقَها ولدًا مِن غيرِ أبٍ).

(وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) أي: وجعَلْنا مَريمَ وابنَها عيسى عَلامةً عَظيمةً للنَّاسِ تدُلُّهم على اللهِ، وعلى قُدرتِه وعَظيمِ سُلْطانِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً [المؤمنون: 50].

ميلاد مريم وكفالتها: مختصر ابن كثير: كان عمران والد السيدة مريم صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أم مريم من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان هو زوج أخت مريم أو زوج خالتها. وتعود قصة ميلاد مريم إلى أن أمها نذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها محرراً من الدنيا وتوهبه حبيساً لبيت المقدس، ليكون من خدام البيت. ولما وضعت مولودها كانت أنثى، وكان الناس في ذلك الزمان ينذرون الذكور خداماً لبيت المقدس وليس الإناث، فقالت: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). تقبل الله دعاء أم مريم (بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)، وراحت أم مريم توفي بنذرها، فأخذت ابنتها مريم ودفعت بها إلى بيت المقدس لتكون من خدام البيت. وافق عباد المسجد أن يأخذوا مريم من أمها والتي هي ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم، فلما أخذوها تنازعوا واختصموا فيما بينهم أيهم يكفلها. وكان كل واحد منهم يريد أن يكفلها، وكان من بينهم زكريا عليه السلام وهو نبي ذلك الزمان كما أنه زوج أخت مريم أو زوج خالتها، فاتفقوا فيما بينهم على أن يقترعوا لتحديد الكفيل بالقرعة. كانت القرعة باستخدام الأقلام، فقد كان لكل واحد منهم قلماً معروفاً به، فوضعوها معاً وجعلوا غلاماً صغيراً يختار واحداً، فاختار قلم زكريا. فتنازعوا وطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن ألقوا أقلامهم في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية

الماء، وسارت أقلامهم مع الماء. فتنازعوا وطلبوا أن يقترعوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعداً فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم، فكفلها إذ كان أحق بها شرعاً وقدراً. اتخذ زكريا مكاناً شريفاً من المسجد، محراباً خاصاً بمريم لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل. اشتهرت مريم بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إن نبي الله زكريا كلما دخل عليها محرابها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه. فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها:(أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا)؟ فتقول: (هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). فعند ذلك طمع زكريا في أن يرزقه الله ولداً، فرزقه الله بيحي عليه السلام وكان نبياً أيضاً. ميلاد المسيح عيسى بن مريم جاءت الملائكة إلى مريم وقالت: يا مريم إن الله اصطفاك واختارك من بين الناس، وطهرك من الأخلاق الرذيلة، وميزك على نساء العالمين، وكتب لك أن تلدي ولداً بغير أب، يكون نبياً شريفاً من الصالحين، ويكلم الناس وهو في مهده كما يكلمهم وهو كهل شيخ كبير. قالت مريم متعجبة: كيف يكون ولد (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) ؟ قالت الملائكة:(كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ). عند ذلك استكانت مريم لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فليس كل الناس يعلمون بحقيقة الأمر. وفي يوم من الأيام خرجت مريم لبعض شئونها، وانفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى، وبينما هي كذلك إذ جاءها الملك جبريل عليه السلام وتمثل لها بشراً سوياً. فلما رأته (قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا). فأخبرها أنه ليس بشراً وإنما ملك رسول من عند الله فقال لها: (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا). قالت: (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)؟ (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا). ونفخ جبريل من روح الله في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها. ولما حملت مريم طفلها، ضاقت به ذرعاً، إذ كيف تظهر أمام الناس وهي حبلى؟ وماذا سيقول الناس في حقها وشرفها؟ ولما بدأت مخايل الحمل تظهر، بدأ الناس يلحظون ذلك، وكان أول من انتبه لذلك رجل من عُباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها. فتعجب يوسف لذلك، فهو يعلم جيداً مريم وديانتها ونزاهتها وعبادتها، فسألها: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول. قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى. قال: فأخبريني خبرك؟ قالت: إن الله بشرني (بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ). ولما رأى زكريا عليه السلام ذلك، سألها وأجابته وصدقها، وكانت زوجة زكريا حبلى بيحى وقت حمل مريم.... انتشر خبر حمل مريم في بني إسرائيل، واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد بالمسجد، واشتد الأمر على أهلها وعلى آل زكريا عليه السلام. وكان ابتلاءً عظيماً من الله

لمريم ابنة عمران، فتوارت عن أعين الناس، وانفردت بحملها في مكان بعيد، وظلت كذلك حتى جاء موعد الميلاد. ولما جاءها مخاض الميلاد، التجأت إلى جزع نخلة، وغلبها الحزن والكرب لما ألم بها، فدار بخلدها أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها حين تخرج عليهم بغلامها، رغم أنها من من بيت النبوة ومن العابدات الناسكات المنقطعات لخدمة المسجد، وغلبها الهم مع المخاض وهي وحدها بلا مساعد. ولما ولدت طفلها قالت: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا). فإذا بطفلها عيسى عليه السلام يتكلم ويرد على أمه: (أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا). كانت مريم وحدها، ليس معها من يعاونها في الولادة، ويجلب لها الماء والطعام وهي نفساء، وضعيفة من أثر الولادة، فرزقها الله الماء من تحتها والطعام من فوقها. فقد أنبع لها نهراً صغيراً من أسفلها، كما نمى لها ثمار النخلة بالبلح حيث اخضر ثم احمر ثم اسود حتى أصبح في هيئة التمر والرطب. وجاءها الأمر أن تهز جذع النخلة يتساقط عليها هذا الرطب الطازج، وبذلك يطمئن قلبها ولا تحزن، فتأكل وتشرب وتقر عيناً، وإذا واجهت الناس تقول بالإشارة أنها صائمة، والصوم في شريعتها ترك الطعام والكلام. ولما استعادت مريم عافيتها، حملت طفلها، وخرجت به إلى قومها، فواجهها القوم بالتأنيب والتوبيخ والاتهام بالفاحشة فقالوا: (يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) (أي فعلاً منكراً) (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا). أشارت مريم لهم تخبرهم أنها صائمة ولن تكلم اليوم إنسياً، ثم أشارت إلى طفلها أن تكلموا معه فهو يجيبكم ويرد عليكم. تعجب القوم وقالوا: (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)! أتطلبين أن نتحدث مع صبي لا يعقل الخطاب ولا يملك الجواب؟ فإذا بالطفل عيسى عليه السلام يتكلم ويخاطبهم:(إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا). كان كلام عيسى مدهشاً للسامعين ومعجزة وآية رد فيها الاتهامات والافتراءات، فقال إنه عبد لله وليس ابن الله كما زعمت النصارى من بعده. وقال إنه نبي والنبوة لا تعطى إلا لذو نسب شريف فبرأ والدته مما نسب إليها من البهتان، وقال إنه مأمور ببرها وإعطاء حقها، كما أنه مأمور بالصلاة والزكاة. وأجرى الله عليه يديه معجزات وآيات تثبت نبوته، فلما جاء بني إسرائيل، قال: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، (قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

وكان زمن عيسى بن مريم مميزاً بالأطباء والحكماء الماهرين، فجاء بمعجزات يعجز عنها هؤلاء الأطباء، فكان يستطيع إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى، ويشفي الأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن، فضلاً عن إحياءه الموتى. ورغم كل هذه الآيات العظيمة إلا أن طائفة من بني إسرائيل كفروا بما

جاء به عيسى وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين. اشتدت عداوة الطائفة التي كفرت بعيسى وناصبته العداء، ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه. وكان عيسى يدعو الله أن يؤخر أجله ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله. فقال الله لعيسى: (يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ). أما عيسى بن مريم فقد رفعه الله من الأرض إليه إلى أن يأتي آخر الزمان في الأرض قبل قيام الساعة، فينزل المسيح عيسى مرة أخرى فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، كما يقتل المسيح الدجال الأعور الكذاب الداعي إلى الضلال، وبعدما يكمل عيسى رسالته ويعطل كافة الملل حتى تهلك ولا يبقى غير الإسلام، ويسود الأمان في الأرض، فيمكث ما شاء الله أن يمكث حتى يصبح كهلاً، ثم يقبض الله روح نبيه عيسى عليه السلام، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

📂أن قصص القرآن يجب أن تُقرأ ويتحدث بها للعبرة والاتعاظ والتأمل والامتثال والاقتداء، وذلك لأنه ليس بيننا وبين الله –عز وجل– إلا التقوى والإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة لوجهه الكريم، وأنه لا ينجي الإنسان إلا عمله الصالح بعد رحمة الله تعالى وفضله، وأن الأنبياء والمرسلين أشد الناس بلاءً، وأكثرهم تعرضًا للمحن والأذى في سبيل الله، ولم يخترهم الله لرسالته إلا بعد اتصافهم بالصبر واليقين، فطريق الأنبياء شاق وعسير، تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل إبراهيم، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، ولبث في السجن، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح يحيى، وحوربوا وطوردوا، وأذوا وأخرج محمد –صلى الله عليه وسلم–، فخاطبه الله –عز وجل– بقوله: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف:35].